

المطلب الأول: الحالة السياسية

حاول الملك عليّ أن يصلح الأمور مع عبد العزيز ولكن عبد العزيز رفض المهادنة حتى يخرج الأشراف من الحجاز⁽¹⁾، ثم تواترت الأخبار بأن الجيش السعودي يتقدم إلى مكة من طريق السيل وما كانت قوات الحكومة في مكة تزيد عن 300 جندي نظامي، يضاف إليها 200 شرطي وقسم من بيشة وعقيل، ولا تملك من العتاد إلا أربعة مدافع جبيلة و 5 رشاشات خفيفة و 3 رشاشات ثقيلة⁽²⁾، وغادر اللواء صبري باشا وكيل الحربية مكة يوم 13/ربيع الأول/1343هـ. متوجهاً إلى جدة للإشراف على الحالة فاجتمع اللواء إلى رجال الحزب الوطني فأبلغوه أنهم يرون الجلاء عن مكة لئلا يسفك دم في منطقة الحرم، ولما أبلغ هذا القرار للملك عليّ وافق عليه فغادر مكة يوم الاثنين 14 ربيع الأول فبلغ جدة ليلة 16 منه، ومعه رجاله، وفي يوم 17 منه وصلت فرقة النصر المؤلفة في عمان بقيادة تحسين الفقير فانضمت إلى القوى الموجودة في جدة وأخذت تعمل في إقامة خطوط الدفاع حول البلدة وتحيطها بالأسلاك الشائكة وتعدّ معدّات القتال⁽³⁾.

قلت: إنّ خروج الشريف علي من مكة، ثم تسليمه لجدة دون قتال، موقف يُشكر عليه من الناس وله أجره عند الله تعالى، سواء كان الشريف علي حقّ أم على باطل، والنصوص الشرعية التي تحت على الإصلاح كثيرة، فمن الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾⁽⁴⁾، وقد امتدح النبي ﷺ سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوله: ﴿إنّ ابني هذا سيد ولعلّ الله ان يصلح به

(1) بدر، التاريخ الشامل: 138/3.

(2) السباعي، تاريخ مكة: 718/2.

(3) المرجع نفسه: 719/2.

(4) سورة النساء، آية: 114.

ففتين من المسلمين ➡ (1)، ولا يخفى أن ترك القتال فيه حقن لدماء المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿...ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً...﴾ (2).

وفي 17/ربيع الأول/1343هـ-16/أكتوبر/1924م دخل الجيش السعودي مكة (3)، ثم اجتمع علماءهم بعلماء مكة وتباحثوا وإياهم في مسائل الخلاف ثم نادى مناديهم بضرورة هدم القباب التي تعلو بعض القبور فهُدمت، وضرورة إبطال البدع وتحريم شرب الدخان فَحُرِّم شُرْبُهُ (4).

وبدأت الوساطات بين الملك عبد العزيز والشريف علي للصلح بينهما وشارك في الوساطة أمين الريحاني والشيخ المراغي مبعوث الملك فؤاد، ولكن عبد العزيز أصرَّ على رحيل الشرفاء، وتحرك الجيش السعودي فحُضر الحصار على جدة في جمادي الثانية 1343هـ (5) واستمر حصار الجيش السعودي لجدة لمدة سنة كاملة، ثم استسلم الملك علي حقناً للدماء وحفاظاً على الأرواح.

أَوَّلُ بَيَانٍ سِيَاسِيٍّ

بعد أن استقرَّ السلطان عبد العزيز في مكة أياماً أصدر البيان التالي لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والبادي:

نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد ➡ أما بعد: فلم يقدمنا من ديارنا إليكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه، ودفعاً لشُرور كان يكيدها لنا ولديارنا من استبدَّ بالأمر فيكم قبلنا، وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل، وهانحن بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع فنقول:

(1) البخاري، الصحيح: 962/2 رقم 2557.

(2) سورة المائدة، من الآية: 32.

(3) بدر، التاريخ الشامل: 138/3-139.

(4) السباعي، تاريخ مكة: 719/2.

(5) بدر، المرجع السابق: 139/3.

1- سيكون أكبر همّنا تطهير هذه البلاد المقدسة من أعداء أنفسهم الذين انتقدتهم العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة.

2- سنجعل الأمر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شورى بين المسلمين، وقد أبرقنا للمسلمين كافة في سائر الأنحاء أن يُرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرّر شكل الحكومة التي يرونها صالحةً لإنفاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهّرة.

3- إنّ مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلّا من كتاب الله وما جاء عن رسول الله ﷺ، أو ما أقرّه علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه ممّا ليس في كتاب ولا سنة، ولا يحلّ في هذه الديار غير ما أحلّه ولا يحرم فيها غير ما حرّمه.

4- كل من كان من العلماء في هذه الديار أو موظّفي الحرم الشريف أو المطوّفين ذي راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل إن لم نرده فلا ننقصه شيئاً إلّا رجلاً أقام الناس عليه الحجة أنّه لا يصلح لما هو قائم عليه، فذلك ممنوعٌ مما كان له من قبل، وكل من كان له حقٌّ ثابت في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه ولم ننقص منه شيئاً.

5- لا كبير عندي إلّا الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلّا الظالم حتى آخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة، ولا يقبل فيها شفاعة، فمن التزم حدود الله فأولئك الآمنون، ومن عصى واعتدى فإنما إثمه على نفسه ولا يلومنّ إلّا نفسه، والله على ما نقول وكيلٌ وشهيد، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم.

12/ جمادي الأولى سنة 1343هـ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود⁽¹⁾.

(1) السباعي، تاريخ مكة: 732/2-733.

قلت: والملاحظ على هذا الخطاب أنه تغلب عليه لغة الرحمة وتطغى عليه نغمات العدل، ونستطيع أن نبين خطة الملك عبد العزيز السياسية من خلال خطابه في النقاط التالية:

- 1- جعل المصدر الرئيس للدستور الشريعة الإسلامية.
 - 2- عمل على اختيار ذوي الكفاءات في إدارة دفة الحكم، واستبعد الذين يفتقدون المؤهلات وهذا من أهم الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها الدول، فما أصاب الدول من الشرور إلا بسبب بطانة الحكام السيئة.
 - 3- حرص على إقامة العدل ومنع استلاب الحقوق من خلال ترك موظفي الدولة السابقة على ما كانوا عليه من مراتب.
- ولأن رعية الملك عبد العزيز رحمه الله قد سعدت به فإننا نرجوا له أن يكون من أسعد الناس، فقد كتب سيدنا عمر بن الخطاب ◀ إلى أبي موسى الأشعري: (أَمَا بَعْدُ: إِنَّ أَسْعَدَ الرِّعَاةِ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ، وَإِنْ أَشْقَى الرِّعَاةِ تَمَّ اللَّهُ مِنْ شَقِيَّتِ بِهِ رَعِيَّتُهُ...)⁽¹⁾.

جلاء الملك علي وإعلان مملكة الحجاز

بارح الملك علي جدّة في 6/جمادي الآخر عام 1344هـ إلى العراق بَحْرًا، ودخل السلطان عبد العزيز جدّة على اثر ذلك فاستقبله الأهالي⁽²⁾، ثم وضع مجموعة من التنظيمات سميت: التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية ونُشرت في جريدة أمّ القرى في 21/صفر 1345هـ - 1926/8/31م وبموجب هذه التعليمات أصبحت الحجاز مملكة عاصمتها مكة المكرمة منضمة إلى سلطنة نجد، وأحكامها مستمدة من الشريعة الإسلامية⁽³⁾.

إعلان المملكة العربية السعودية

(1) ابن أبي شيبة، المصنف: 94/7 رقم 34448، والأصبهاني، حلية الأولياء: 50/1.

(2) السباعي، المرجع السابق: 739/2.

(3) بدر، التاريخ الشامل: 171/3.

بعد أن بويع السلطان عبد العزيز أصبح لقبه الرسمي ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته، ثم في 25/رجب/1345هـ-1927/1/19م غُيِّر لقب السلطان من "الملك"، وأصبح اسمه ملك الحجاز ونجد وملحقاته⁽¹⁾.

ثم عقد الملك عبد العزيز مع بريطانيا، سميت معاهدة جدة عام 1345هـ/1927م، وقامت على إقامة علاقات بين الدولتين على أسس سليمة من الصداقة وحسن التفاهم⁽²⁾.

وكانت منطقة عسير الجنوبية أو المخلاف السليماني-وتشمل: صبيا وجازان وأبو عريش والمناطق حولها-خاضعة لإمارة الأدارسة، وقد عقد أميرها الحسن بن علي الإدريسي معاهدة مع الملك عبد العزيز في سنة 1345هـ-1926م وصارت بمقتضاها الإمارة تحت حماية الملك عبد العزيز، وقد احتفظ الملك عبد العزيز بالشؤون الخارجية للإمارة، وترك للحسن الإدريسي الشؤون الداخلية يُساعده مندوب سعودي، ثم تنازل الحسن الإدريسي عن شؤون الإمارة للملك عبد العزيز في 17/جمادي الأولى/1349هـ-1930م فقبل الملك ذلك في 29/من جمادي الآخرة من العام نفسه⁽³⁾.

وبذلك أصبحت عسير الأدارسة أو المخلاف السليماني جزءاً من الدولة السعودية الجديدة، فكانت آخر المناطق في الجزيرة العربية انضماماً إلى الحكم السعودي، ووصلت بذلك حدود الدولة السعودية الحديثة إلى المملكة اليمنية، وهو آخر امتداد للمملكة الحجازية النجدية من الجنوب، ولم يلبث أن صدر مرسوم ملكي بتوحيد مناطق تلك المملكة تحت اسم جديد هو: المملكة العربية السعودية في 17/جمادي الأولى عام 1351هـ-1932/9/23م، وصار هذا اليوم، هو اليوم الوطني للمملكة⁽⁴⁾.

(1) ينظر: فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، 1388هـ: ص 394.

(2) ينظر: الريحاني، أمين، تاريخ نجد الحديث، ط6، دار الجبل، بيروت، 1988م: ص 448-450.

(3) ينظر: السلطان، د. محمد بن عبد الله: نشأة الدولة السعودية (بحث مطبوع ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي): مج3/القسم الأول: 69.

(4) ينظر: فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب: 365-394.

وقد توفي الملك عبد العزيز في الطائف في 2/ربيع الأول/1373هـ-
 1953/11/9م، وخلفه أبناؤه: الملك سعود حتى سنة 1384هـ-1964م، ثم الملك
 فيصل حتى عام 1395هـ-1975م، ثم الملك خالد حتى عام 1402هـ-
 1982م⁽¹⁾ ثم الملك فهد حتى عام 1426هـ-2005م، ثم الملك عبد الله بن عبد
 العزيز وهو الملك إلى الآن، متّعه الله بالعافية ووفقه لكل خير وفضيلة وتجدر الإشارة
 إلى أننا نجد في بعض المطبوعات عبارة مائة عام على تأسيس المملكة العربية
 السعودية وهذه العبارة يُفهم منها أمران:

أحدهما: المقصود المملكة بهذه الرقعة الجغرافية المتزامية الأطراف وبهذا المسمى وبذلك
 الترتيبات الإدارية وعلى هذا فتلك العبارة غير دقيقة، لأن المملكة على وفق هذا
 الوصف ولحدّ هذا العام مضى لها 76 سنة هجرية، و75 ميلادية.

والآخر: البداية الأولى لنواة المملكة، وهي مدينة الرياض، فتكون تلك العبارة على وفق
 هذا المعنى صحيحة، لأنّ الملك عبد العزيز دخل مدينة الرياض -وهي العاصمة
 الآن- سنة 1319هـ-1901م⁽²⁾ وبايعه أهلها، ثم بدأ بالتوسع وضّم بقية مناطق
 المملكة تحت سلطته، وابتداءً من ذلك التاريخ حتى سنة 1419هـ تكون المدّة الزمنية
 قد بلغت قرناً كاملاً.

الأمن والأمان

كان الحجاج يُعانون منذ قرون عدّة من قطاع الطرق الذين يعترضون القوافل
 وينهبون ما فيها، وقد يقتلون عدداً من الحجاج، وكانت تلك الحالة ما إن تختفي سنة
 حتى تعود في التي تليها أقوى مما كانت عليه في سابقتها، ولما آل أمر الحرمين
 الشريفين إلى الملك عبد العزيز رحمه الله ضرب بقوة على أيدي العابثين⁽³⁾، واستدعى

(1) ينظر: السلطان، نشأة الدولة السعودية: مج3/ القسم الأول: 73.

(2) ينظر: العمروي، عمر: المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبد العزيز الحربية، ط1-1406هـ: ج1/ص18.

(3) ينظر: هيك، في منزل الوحي: 147، وبدر، التاريخ الشامل: 169/3.

جميع زعماء حرب وجهينة وبلى وذلك في أواخر رجب 1344هـ ولقيهم في منزله ووعظهم وأكرمهم وأعطاهم وأعلمهم بانتهاء عهد الخوف والغزو والسلب، وضرورة استتباب الأمن والاستقرار وتأمينها، وقيام الدولة بمسؤولياتها في هذا الشأن بالاستعانة بالقبائل نفسها، وجعل كل عشيرة مسؤولة عن المنطقة التي تعيش فيها، وشيخ العشيرة هو الذي يمثلها ويتحمل المسؤولية الكبرى، فإن استطاع إدارة أمور عشيرته وتحقيق الأمن ثبت في مشيخته ونال إعطيات الدولة، وإلا عُزل وبُذِل أو عوقب، وربما يطلب من شيخ العشيرة المجاورة التدخل لحفظ الأمن، فإن أبطأ أو عجزت تدخل الجيش ليفرض النظام ويوطد الأمن⁽¹⁾.

وقد أبلغ الملك عبد العزيز العقوبات الصارمة التي ستطبق على المخالفين، ثم قسم الحجاز إلى مناطق وحددها وبين حدود كل قبيلة، واشترط عليهم⁽²⁾:-

1- الالتزام بشرع الله.

2- أن يؤدوا الزكاة.

3- المشاركة في الجهاد عندما يقتضي الأمر.

4- المحافظة على عابري السبيل من الحجاج والجمالين والمسافرين.

وأعلن أنه ليس لهم شيء من الحقوق على الحجاج ولا على غيرهم من عابري السبيل، وأن جميع الحقوق السابقة باطلة، وليس لهم إلا ما يتفضل به عليهم جلالة الملك من بيت مال المسلمين على عادته من عطيته لرعاياه وغيرهم، ومنع العشائر من أن تقيم مضاربها على الطرق العامة؛ ليبقى المسافرين أكثر شعوراً بالأطمئنان على أنفسهم وأموالهم وتجارهم، وكان هذا أول عمل جاد وحاسم يُنهى مشكلة الأمن وطريق الحج التي امتدت أكثر من عشرة قرون⁽³⁾.

(1) بدر، المرجع نفسه: 169/3-170.

(2) المرجع نفسه: 170/3.

(3) بدر، التاريخ الشامل: 170/3-171.

كان الملك عبد العزيز شديد الحزم في تطبيق العقوبات والحدود الشرعية؛ ليزرع الهيبة في نفوس القبائل التي اعتادت على العصيان، وعاشت تقطع الطرق على الحجاج والمعتمرين⁽¹⁾.

وقد ألغى الملك عبد العزيز نظام المخافر التي كان العثمانيون قد أقاموها على الطريق، واكتفى بتحويل مسؤولية الأمن إلى القبائل نفسها، ومراقبة تصرفاتها ومعالجة الحالات الشاذة بسرعة وشدة، وقد آتت هذه الطريقة ثمارها ونجحت في معالجة تلك المعضلة التاريخية نجاحاً منقطع النظير، وارتفع عدد القادمين للحج في عام 1345هـ إلى مائة ألف حاج، وفي السنة التالية تضاعف العدد إلى ثلاثة أضعاف، منهم أربعون ألف حاج جاءوا عن طريق البحر⁽²⁾.

قلت: إنَّ سبب نجاح الملك عبد العزيز رحمه الله في معالجة مسألة اضطراب الأمن ترجع إلى نظرته الثاقبة الحكيمة في معالجة الأمور من خلال التعامل مع السبب والمسبب، فسبب اضطراب الأمن قطاع الطرق، والمسبب غالباً هو الحاجة إلى المال، وقد تعامل مع كلٍّ منهما بما يناسبه فزرع الهيبة في القلوب وملأ الجيوب، وهذه الطريقة في التعامل مع الرعية هي من أصل الإسلام، وقد أهملها كثيرٌ من الساسة إذ نرى غالبهم يحاولون معالجة الفساد بالشدة مع تركهم للمسبب، فمثلاً يوقعون عقوبة صارمة على الموظف المرتشي مع أنهم يجعلون له راتباً لا يسد الحد الأدنى من معيشته.

إحداث في الحرم

كان الإيرانيون يصرون على التظاهر في مكة ضدّ أمريكا وإسرائيل، ويهتفون: الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، وفي سنة 1989م استطاع بعض الكويتيين تهريب كمية من المتفجرات، وذلك عن طريق السفارة الإيرانية في الكويت، ودخلوا بها إلى مكة، ثم قاموا بتفجير بعضها، وقد أصيب الحجاج

(1) المرجع نفسه: 171/3.

(2) المرجع نفسه: 171/3.

بالدعر، فقتل من جرّاء ذلك رجلٌ واحد وجُرح العشرات من الحجاج، ثم ما لبث أن انكشف أمرهم، وكانوا 14 من الأشقياء الذين أخذ بعضهم ييكي ويظهر الندم خلال مقابلة تلفازية أجريت معهم، وقد اعترفوا خلال ذلك بالتنسيق الذي كان بينهم وبين السفارة الإيرانية في الكويت، وأنها سلمتهم المتفجرات هناك⁽¹⁾.

تعقيبٌ وتحليل

إنّ هذه الحادثة تتضمن شقين:

-أحدهما: مسألة التظاهرة والاحتفالات والشعارات: إنّ دينَ الإسلام يؤمن بحرية الرأي وحرية التعبير وليس أدل على ذلك من اعتراضات عوام المسلمين على خلفائهم، كاعتراض بعض الصحابة[▲] على بعض تصرفات الخلفاء الراشدين[▲]، ومقابلة الراشدين لهم بالإنصات والاستماع والإنصاف واللفظ في الإجابة والردّ دون تشنيع أو ردع، ولكن يجب على من أراد التعبير عن رأي ما، وفكرة ما، أن يغتنم الوقت المناسب والمكان المناسب، والوقت الذي اختارته تلك المجموعة غير مناسب لأنّه وقت الحج، والحج شرعاً (زيارة مكان مخصوص، في زمن مخصوص، بفعل مخصوص)⁽²⁾، وإنما عرّف العلماء الحج بهذا التعريف ليعلّموا المسلمين بأنّ ذلك الوقت مخصوص بتلك العبادة، حتى لا يصح أداؤها في أيّ وقتٍ غيره، إذن فالوقت لا يسع لأيّ شيء سوى تلك العبادة، وذلك المكان هو محل تسكّب فيه العبرات على مافات، ولا يصح أن تعلوا فيه شعارات سياسية؛ لأنّ الشعارات السياسية لها زمانها، ولها مكانها فمكانها الإذاعات المرئية والمسموعة، والصحف والمجلات والندوات، ولا يجوز أن يعلو في تلك البقاع شعارٌ سوى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

(1) www.makkawi.com

(2) الغنيمي، عبد الغني، اللباب في شرح الكتاب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، 1381هـ-1961م: ج1/ص177.

ومالنا ولأمريكا وإسرائيل في تلك البقاع، إننا بذلك العمل نجعلهم مهيمنين فعلياً على عبادتنا، فنفقد الشحنة الروحية التي تكفي لسنة كاملة، والتي لا وقت لها إلا في تلك الأيام، إنّ تلك الشحنة الروحية التي تستقر في قلب الإنسان وروحه هي ما يدفعه إلى طاعة الله ورسوله، فإذا ضيّعها المسلم بقي كالمصباح عديم الكهرباء.

-الآخر: مسألة الإحداث في الحرم وإيذاء الحجاج: إنّ تلك الحادثة لتدل بوضوح على تسامح المملكة وعدم تشديدها على الحجاج، وهذا يمكن أن نعهده من الغفلة، ولكنها غفلة الصالحين عن حسن نية، وإحسان الظن بالمسلمين، ولكن تلك الغفلة ينبغي أن لا تتكرر، بل ينبغي على المملكة أن تبقى متيقظة دوماً كما عهدناها، وتستمرّ بالضرب بقبضة من حديد على أيدي العابثين وتمنع كل من يحاول إصدار الهتافات والشعارات، ولسنا ندعو إلى ذلك من منطلق سياسي، بل من منطلق شرعي، إذ لسنا من المنخرطين في مجال السياسة، ولا هذا الموضوع الذي ندرسه موضوع سياسي، وفيما يلي أهم الأصول الشرعية التي تحث على إبقاء السكينة في تلك البقاع، وتدعو إلى منع كل مثل تلك المظاهر:

1- قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾⁽¹⁾، وتلك الأحداث تؤدي إلى ترويع المسلمين، فهي تنافي الأمن، وأقلّها الشعارات، ولا يخفى ما يُدخل قلوب مئات الآلاف من المسلمين من وجل عند سماعهم لها، وقد قال ﷺ: ﴿مَنْ رَوَّعَ مُسْلِمًا رَوَّعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾⁽²⁾، فليتنبه من يفعل ذلك، وليتأمل هذا الحديث الشريف، فإذا كان الإنسان لا يقوى على ترويع سلطان من سلاطين الدنيا، فكيف سيقوى ويثبت أمام ترويع الله، نسأل الله العافية!

2- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شُعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁽³⁾، ومفهوم المخالفة أنّ من يستهن بشعائر الله فهو عديم التقوى، وانظر كيف قال

(1) سورة آل عمران، من الآية: 97.

² الأزدي، الربيع بن عمر، مسند الربيع، تحقيق: محمد ادريس عاشور بن يوسف، ط1، دار الحكمة، بيروت، 1415هـ، ج1/ص274 رقم711، والبيهقي، شعب الإيمان: 6/16 رقم7369.

(3) سورة الحج، آية: 32.

سبحانه "تقوى القلوب" ولم يقل التقوى، أو تقوى الله، ولعل في ذلك إشارة إلى أنّ من يعظم شعائر الله فهو التقي الحقيقي ظاهراً وباطناً، ومن لم يعظمها فليس في قلبه أي نوع من التقوى، وإن أظهر خلاف ذلك، ثم إنّ تلك الأحداث لا يمكن أن نجعلها إلا في باب الاستهانة بشعائر الله.

3- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁾، وقد مرّ بنا أنّ من الإلحاد أن يقول: كلا والله، وبلى والله، فكيف بإراقة الدماء وإشاعة الفوضى، وإيذاء المسلمين خلال عبادتهم؟!.

4- إنّ التساهل في سفك الدماء في حرم مكة نذير سوء مؤذنٌ بهلاك العرب، قال رسول الله ﷺ: ﴿يَبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَحِلُّ هَذَا الْبَيْتَ أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحْلَوْهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ...﴾⁽²⁾، فإذا سمحنا لمثل تلك الأحداث بالوقوع فقد عجلنا بهلاك العرب الذين هم مادّة الإسلام.

وبعدما بيّناه من أدلة شرعية ننتقل إلى النقاش العقلي، فنقول لمن يُحدث تلك الأحداث، أما أن يكون طالباً للسلطة -مثلاً- كأن يريد الاستيلاء على السلطة وتغيير نظام الحكم، فنقول له: هل إنّ المكان المناسب هو المسجد الحرام؟!، وكيف ذاك؟!، أهو العاصمة السياسية للمملكة؟!، أم قصر الملك؟! أم مركز القيادة العسكرية؟!، قطعاً إنّهُ ليس واحداً من تلك الأشياء، إذن فما جدوى إهلاك الناس في المسجد الحرام، وقد علم المحدث إنه لا يمكن أن ينجو بفعله أو يتحقق له ما يريد في ذلك المكان، لأنه سيكون على الأقل مُحاطاً بملايين المسلمين المشتاقين، لا بفئامٍ من الحاقدين.

وإن كان صاحب تلك الأفعال يتزعم تياراً دينياً إسلامياً، فإما أن يكون مؤمناً بأنّ كلام الله ورسوله حق، فيجب عليه التسليم له والإيمان بما ذكرناه من آيات

(1) سورة الحج، من الآية: 25.

(2) الامام أحمد، المسند: 351/2، وابن حبان، الصحيح: 15/239، رقم 6827، وصححه الحاكم. المستدرک علی الصحيحين: 4/499، رقم 8395.

وأحاديث قولاً وفعلاً، وإن لم يكن مؤمناً بأنّ كلام الله ورسوله حق، فقد خرج عن دائرة الإسلام، وليس لنا الكلام معه سوى أن نقول إنّ تاريخ الدول قديمها وحديثها يؤكد أن الدولة التي تقوم على الدماء فمصيرها إلى ما بدأت به.

المطلب الثاني: الحالة الإدارية

أصبحت منطقة مكة المكرمة في العهد السعودي الزاهر العاصمة المقدسة، وهي إمارة تضمّ عدة محافظات هي: مكة المكرمة، وجدة، والطائف، ومدينة عبد الله الاقتصادية، والقنفذة، والليث، ورابغ والجموم، وخليص، والكامل، وترية، والخزمة، ورنية⁽¹⁾. وقد كان العهد السعودي عهداً زاهراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، وأبرزها ما اتسم به اعتماد نظام إداري متكامل من حيث اختيار الأشخاص ذوي الكفاءة العالية والخبرة الإدارية، والحزم في تنظيم الأمور، وفيما يلي بيان لأبرز السمات الإدارية في هذا العهد:

1- الإمارة: وعني ملوك الدولة السعودية باختيار الأكفأ من الشخصيات المرموقة لإدارة هذا البلد المقدس مع ما يتناسب من أهمية كمكان يقصده ملايين المسلمين كل عام من أجل أداء فريضتهم، أو القادمين لأجل الزيارة أو المجاورة، ومع تطوّر حاجات الحياة لا بُدّ من اختيار إدارة رشيدة تقوم على ذلك، فعندما وصل السلطان عبد العزيز إلى مكة في 8/ جمادي الأولى/ 1343هـ - 5/ ديسمبر/ 1924م جَلَبَ معه بعض المستشارين من المصريين والسوريين ومن بينهم الشيخ حافظ وهبة، كما وصل معهم الشيخ عبد الله السليمان، فبدؤوا يساعدون الحاكم الجديد خالد بن لؤي في تنظيم الأحوال وعلاج الأمور التي كان لا بُدّ لعلاجها من مدينيين ألفوا حياة المدن⁽²⁾.

واستمر تعاقب الأمراء على مكة كما يأتي:

(1) ينظر: www.makkawi.com
(2) السباعي، تاريخ مكة: 731/2-732.

- 1- خالد بن لؤي 1343هـ.
- 2- فيصل بن عبد العزيز آل سعود 1344هـ.
- 3- متعب بن عبد العزيز آل سعود 1378هـ.
- 4- عبد الله سعود بن عبد العزيز 1380هـ.
- 5- مشعل بن عبد العزيز آل سعود 1380هـ.
- 6- فواز بن عبد العزيز آل سعود 1390هـ.
- 7- ماجد بن عبد العزيز آل سعود 1400هـ.
- 8- عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود 1420هـ.

وتميز الأخير كسابقه بالمتابعة الدؤوبة لشؤون الإمارة، والحرص على لقاء المسؤولين عن الإدارات، ومنحهم الثقة والصلاحيات اللازمة للأداء الناجح، ومتابعة إنجازاتهم فيها والحرص أيضاً على لقاء وجوه الناس والمثقفين في محل إدارته الخاص، وزيارتهم في المناسبات، وتخصيص مدة يومية يلتقي فيها عامة الناس ويستمع إلى قضاياهم، ويوجه إلى حلّ مشكلاتهم على الفور⁽¹⁾.

وقد طالعنا القنوات الفضائية بخبر وفاة الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز بتاريخ 2007/5/5م.

2- أمانة العاصمة "بلدية مكة المكرمة"

قال الكردي: (ثم لما تولى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى على الحجاز جعل الشيخ عبد اللطيف عالم-بفتح اللام-المطوّف رئيساً لأمانة العاصمة، ثم وضع مكانه الشريف محمود من شعب عامر بمكة، ثم وضع مكانه الشيخ عبد الرحمن بشناق من القشاشية بمكة، ثم وضع مكانه الشيخ عباس قطان ولبث في رئاسة أمانة العاصمة مدة طويلة، ثم تولى بعده الشيخ عبد الرؤوف الصبان، فلبث بها بضع سنوات ثم تولى بعده الشيخ محمد صادق في

سنة 1372هـ، فمكث نحو سنتين فقط وهو ومن سبقه من أهالي مكة المكرمة، ثم تولى بعده الشيخ عبد الله خثلان في سنة 1374هـ وهو من أهالي نجد، ثم تولى بعده الاستاذ عبد الله عريف من أهالي مكة⁽¹⁾.

ولا يخفى في الوقت الحاضر ما تؤدّيه أمانة العاصمة المقدسة "أو بلدية مكة المكرمة" من جهود عظيمة في خدمة الحجيج وهم بالملايين وكذلك خدمة أهل مكة الكرام طوال أيام السنة.

3- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كانت هذه الوظيفة تسمى الحسبة، قال الماوردي: (هي أمر بالمعروف إذا ظَهَرَ تَرْكُهُ، ونهي عن المنكر إذا أظهر فِعْلُهُ)⁽²⁾. وقد بيّن لنا الله سبحانه وتعالى منزلة من يفعل ذلك تنفيذاً لأمره سبحانه، ووصفه بأنّه من المفلحين، بقوله: ﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾⁽³⁾.

وعند دخول الإخوان- جيش الملك عبد العزيز رحمه الله- للحجاز رأوا ما لم يألفوه، فظنّوا أن كل من يختلف عنهم ومعهم ليس على صواب، واعتقدوا عن حُسن نيّة أن كل مظهر لا يتفق مع ما هم عليه مُنكّرٌ يجب إزالته، فنَصَّبَ كُلُّ منهم نفسه حاكماً، فأخذوا يضربون المدخنين ومرتدي الأزياء الغريبة عليهم، ويقبضون على المجتمعين لذكر أو تلاوة على اعتبار أنّها بدعٌ لم تكن على عهد النبي ﷺ، مما دعا الملك عبد العزيز أن يتحرك بسرعة ليضع حداً لذلك وبادر بتعيين مجموعة من حرسه الخاص الأشداء المعروفين بالمرونة ودمائة الأخلاق والورع والطاعة لوليّ الأمر، وضع هؤلاء الحرس الذين هم محلّ ثقته لتأديب كل من تخوله نفسه تجاوز حدوده، وعيّن قاضياً للنظر فيما يحدث من تعدّيات الإخوان، وممارسات الأهالي والوافدين، وأرسل تعليمات مشدّدة لتطبيق في أرجاء الحجاز خلاصتها منع الجند

(1) الكردي، التاريخ القويم: 225/5.

(2) الأحكام السلطانية: 338.

(3) سورة آل عمران، آية: 104.

والأخوان من ضرب المواطنين وشتمهم، وتغريم من يُدخّن بدلاً من جلده، وإقامة مناظرين من البلدية ليراقبوا من يتخلف عن الصلاة وتحويله إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقرير الجزاء الشرعي عليه، وقد نجح السلطان عبد العزيز في ضبط الأمور وكبح جماح المندفعين⁽¹⁾.

قلت: إنّ هذا التصرف من الملك عبد العزيز يدلّ على حنكة سياسية، وحكمة في تصريف الأمور، وله أصل شرعي في أقوال الفقهاء، فقد قال الماوردي: واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي: هل يجوز له أن يحمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف فيها الفقهاء على رأيه واجتهاده أم لا؟ على وجهين⁽²⁾: -أحدهما: وهو قول أبي سعيد الإصطخري: أنّ له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد في أحكام الدين، ليجتهد رأيه فيما اختلف فيه.

-والثاني: ليس له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده، ولا يقودهم إلى مذهبه؛ لتسويغ الاجتهاد للكافة فيما اختلف فيه، فعلى هذا يجوز أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد إذا كان عارفاً بالمنكرات المتفق عليها.

4- مجلس الشورى: وشكّل الملك عبد العزيز في مكة هيئة تأسيسية من أربعة عشر عضواً من أهل جدة ومكة فقط، وثلاثة من مستشاري عبد العزيز⁽³⁾.

5- القضاء: صدر مرسوم ملكي بتوحيد النظام القضائي على حسب المذهب الحنبلي وألغيت المحاكمات العشائرية ووجب تعيين قاضي في كل مدينتين ومنطقة وقبيلة، ترفع إليه القضايا وتنفذ السلطات التنفيذية حكمه، وقد نظم القضاء تنظيمًا دقيقاً، وصدر به مرسوم جعله على ثلاث درجات:

(1) ينظر: بدر، التاريخ الشامل: 167/3-168.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية: 319.

(3) بدر، التاريخ الشامل: 171/3.

الدرجة الأولى: المحاكم المستعجلة وتنظر في القضايا المستعجلة والبسيطة والجرح والجنايات التي لا تصل إلى حدّ القطع والقتل، وتتألف من قاض واحد يصدر أحكامه دون إبطاء في القضايا المعروضة عليه حسب الأولوية في تقدير الدعاوي⁽¹⁾.

الدرجة الثانية: المحاكم الكبرى وتنظر في القضايا الكبيرة وحالات القطع والقتل وتتألف من قاضٍ ونائبين وتصدر أحكامها باتفاق القضاة⁽²⁾.

الدرجة الثالثة: محكمة تنظر في الأحكام التي تصدرها المحاكم الكبرى وقد غير اسمها إلى محاكم التمييز فيما بعد- لتمييز بين الأحكام، فإما أن تصدّق الحكم، أو تعيده إلى المحكمة التي أصدرته لإعادة النظر فيه إن وجد ما يستحق ذلك، وتتألف من خمسة قضاة، ويعد رئيسها قاضي القضاة⁽³⁾.

قلت: وذلك كلّ من أجل إقامة العدل والتأكد من الأحكام قبل أن تكتسب الحالة القطعية، والابتعاد عن الظلم والأحكام السريعة.

وتطوّرت الحياة فيما بعد وكثرت حاجات الناس فكثر القضاة والمحاكم، وقد أدّى الملوك رحمهم الله ما ينبغي عليهم وخرجوا من تبعات القضاء، وقد ظهرت مشكلة في السنوات الأخيرة متمثلة بكون أغلب قضاة مكة المكرمة والمدينة المنورة ليسوا من أهل الحرمين لذلك اقترح السيد محمد بن علوي المالكي رحمه الله في أواخر عام 1424هـ أن تؤكّد حكومة المملكة على كليات الشريعة وبالأخصّ أقسام القضاء العالي على اختيار جملة من أبناء كل منطقة من أهل الحرمين للدراسة في أقسام القضاء حتى يتخرّج منهم من يقوم بالقضاء في منطقته لأنّ ذلك يُساعد على إيجاد الثقة والاطمئنان بين القضاة وكتاب عدل وبين المواطنين، فمعرفة القاضي

(1) المرجع نفسه: 173/3.

(2) بدر، التاريخ الشامل: 173/3.

(3) المرجع نفسه: 174/3.

بالبلد وأهله وعاداته التي يعيش فيها ومعرفة تقاليده وأعرافه تساعد على تحقيق العدالة⁽¹⁾.

ولا ريب أنّ حكومة المملكة استجابت لذلك كعادتها في الاستجابة لكلّ ما من شأنه أن يساعد في تأصيل العدل في بلاد الحرمين الشريفين.

6- الطواف: بدأت هذه الوظيفة بسيطة على تطويف الملوك أو العاجزين عن الطواف، ثمّ تطوّرت بمرور الزمن فأصبح المطوّف هو من يُعلّم المناسك، ولكلّ مجموعة مُطوّف تستأجره بمبلغ معين ليعلم أفرادها المناسك وأدعية كل منسك-وهو المرشد الديني في عصرنا- ثمّ تطور أمر المطوّف فأصبح يقوم بتهيئة سيارات السفر للحجيج، ثم يهيئ لهم أماكن السكن في مكة المكرمة وقرب المشاعر، وفي المدينة المنورة-ويُسمّى بمصطلح أهل العراق: المتعهد، أو الحمل دار باللغة العامية الدارجة.

وفي العهد السعودي الزاهر دخلت الطواف في طور جديد من الإجراءات ومن ذلك صدور نظام المطوّفين عام 1367هـ، وبعد عشرين عاماً من ذلك أي في عام 1385هـ قرّر مجلس الوزراء السعودي تغيير نظام الطواف بالكامل وأعطى النظام الجديد إلى حرية كاملة في اختيار الحاج مُطوّفه، وألغي جميع هيئات المطوّفين، وتبنت مهامهم جميعاً وزارة الحج والأوقاف، ولكن سرعان ما أنتجت هذه الحرية نزعات جديدة ومشكلات متعددة، فصدر نتيجة لذلك نظام التوزيع الذي قنّن الحرية السابقة بشكل واضح، ولكن السلبات لاحقت هذا النظام أيضاً، مما دعا الحكومة إلى إصدار نظام المؤسسات الحالي والذي بدأ تطبيقه تجريبياً عام 1400هـ وبُدئ بالمؤسسة التجريبية لحجاج تركيا، ولحق هذه المؤسسات مؤسسات أخرى لحجاج إيران، وجنوب آسيا، وجنوب شرق آسيا، وإفريقيا غير العربية، وحجاج الدول العربية، وكان الهدف الرئيس من إنشاءها هو إيجاد أرضية علمية لرفع مستوى الطواف وخدمات الحجاج في إطارٍ جماعيٍّ، فاستطاعت الطواف أن تمدّ قاعدة خدماتها إذ

(1) ينظر: المالكي، محمد بن علوي، الغلو وأثره في الإرهاب وإفساد المجتمع، بحث مقدم إلى مؤتمر الحوار الوطني بمكة المكرمة، 1424هـ: ص 68-69.

يوجد اليوم أكثر من 464 مؤسسة مُرَخَّص لها العمل في مجال الطوافة لحجاج الداخل⁽¹⁾.

7- تَطْوِيرُ البريد: وفي ربيع الأول عام 1348هـ بدأ تطوير مرفق مهم في مكة المكرمة وهو مرفق البريد وكان البريد ذلك الوقت ينتقل على الجمال السريعة ويستغرق من المدينة إلى مكة ما بين يومين إلى ثلاثة أيام، ومع دخول السيارات اتجهت الأنظار إليها لتقوم بمهمة نقل البريد واختصار الزمن، وقامت إدارة البريد باستيراد عدد من السيارات ونظمت رحلات النقل بين مكة والمدينة، وبدأت برحلة أسبوعية واحدة حيث تقوم السيارة من مكة أو جدة يوم السبت وتطورت المسافة في خمس عشرة ساعة، وتحمل الرسائل الحكومية والطرود والرسائل الأهلية، ثم بدأت باستقبال (الحوالات) المالية لقاء رسم بسيط، وكانت سيارة البريد تحمل فضلاً عن أكياس الرسائل والطرود والأموال بعض المسافرين، وقد ظلت هذه الرحلة الأسبوعية إلى أن زيدت وصارت رحلتين في الأسبوع، واحدة يوم الاثنين، والأخرى يوم الخميس وكانت أسرع وسيلة مواصلات حتى ذلك الوقت⁽²⁾.

8- الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي: جهاز حكومي يرتبط مباشرة بالملك، يشرف على مرافق مهمة ومواقع مقدسة، وهي⁽³⁾:
أ- المسجد الحرام.

ب- المسجد النبوي.

في عام 1384هـ أنشئت الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام لتقوم بمهام الإشراف على التوعية والإرشاد والتدريس والتوجيه والإمامة والخطابة في المسجد الحرام، وفي عام 1397هـ صدر الأمر السامي بإنشاء الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين لتتولى جميع الأعمال والخدمات المتعلقة بالحرمين الشريفين⁽⁴⁾.

(1) ينظر تقرير مفصل عن الطوافة hasan@makkawi.com

(2) ينظر: بدر، التاريخ الشامل: 203/3-204.

(3) السبيل، محمد بن عبد الله: رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين، ط2، مطابع الوحيد، مكة المكرمة، 1422هـ: ص80.

(4) السبيل، رعاية الحرمين الشريفين: 80.

وفي عام 1398هـ صدر التوجيه بالموافقة على قرار اللجنة العليا للإصلاح الإداري حول تنظيم وترتيب ضمّ الإشراف الديني والأجهزة الحكومية الأخرى العاملة بال الحرمين الشريفين إلى هذه الإدارة⁽¹⁾.

وفي عام 1407هـ صدر الأمر السامي الكريم بتعديل المسمى إلى الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي⁽²⁾.

وفي عام 1414هـ صدر التوجيه الكريم باعتماد ضمّ مصنع كسوة الكعبة المشرفة إلى الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي⁽³⁾.
ومن الأهداف الرئيسة للرئاسة⁽⁴⁾:-

1- الإشراف المباشر على تهيئة جميع الخدمات في المسجد الحرام والمسجد النبوي لمن يقصدهما من المصلين والحجاج والمعتمرين والزوار وتسهيل أداء نُسُكهم بكلّ يُسرّ وطمأنينة من خلال الوعظ والإرشاد والتدريس وتوفير السقي والفرش والنظافة والصيانة وغير ذلك.

2- تعيين الأئمة والخطباء والمدرسين في الحرمين الشريفين.

3- تأمين كسوة الكعبة المشرفة في كل عام من خلال تصنيعها بمصنع الكسوة وتوفير مستلزمات المصنع الإدارية والفنية والخامات والأجهزة والمعدات.

4- دراسة احتياج مباني الحرمين الشريفين ومرافقهما من الصيانة والتشغيل لتبقى محتفظة بشكلها المعماري المميز.

5- الإسهام في نشر وتعليم العلوم الشرعية من خلال الدروس بالحرمين الشريفين.

6- الاهتمام بمكتبي الحرم المكي والحرم النبوي وتزويدهما بالكوادر الإدارية والفنية المؤهلة وتأمين مستلزماتها العلمية والعملية.

7- المشاركة في لجنة الحج العليا بعضوية الرئيس العام

(1) المرجع نفسه: 80.

(2) المرجع نفسه: 81.

(3) المرجع نفسه: 81.

(4) المرجع نفسه: 80-82.

قلت: إنّ تأسيس تلك الرئاسة له مَرَدودات ممتازة على خدمة الحرمين الشريفين؛ لأنّ تلك الرئاسة فيها موظفون مُختصون، فَرَّغوا أنفسهم لخدمة البقاع المقدسة ولا يخفى أنّ تفريغ الإنسان من المشاغل وقصره على وظيفة واحدة يؤدي إلى أنّه يُقَدِّم أفضل ما عنده، ويُوَفِّر له مجالاً واسعاً للتحرك والإبداع والتطوير والتقدم بسرعة، ولا سيما أنّه يتلقى من القائمين من ولاة الأمر رواتب مجزية تؤمن له العيش الرغيد.

ومن جانب آخر فإنّ إسناد تلك المهمات إلى مجموعة معينة يُخَفِّف من العبء الملقى على الملوك والأمراء، ويُوَفِّر لهم وجهات نظر مُتَعَدِّدة ليتمكنوا من اختيار الأفضل.